

## اللغة والأدب

في مرآة الأدب

سهل بن هارون

٦

بقلم محمود مصطفى

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

قدمنا لك في المقال الماضي عن سهل ما كشفنا به عن أسلوبه الحكيم ، ومنجاء الغريب في استدلاله . ونعود اليوم فنجلو لك جانبا من عتملة وناحية من ذكائه في بدائمه التي رويت عنه ، وارتجالاته التي أكدت فضله عند من هم بججوده ، كذلك نورد عليك من نواته وفكاهاته ما يضحك كل غضبان وإن تشدد ، وكل ثكلان وإن أحرقه لهيب الوجد .

وليست الفكاهة بهيئة في نفسها ، فهي صورة البديهة الحاضرة ، ونتاج الملاحظة القوية ، وعنوان الظرف والرقعة . وهل ترى صاحب فكاهة إلا الألعى الذى يظن فيؤكد ، ويتوهم فكأن قد . وهل تراه إلا ذلك المستبشر الممتلىء النفس ثقة بمواتاة الزمان ، ومخالفة الحدثن ! وهل يكون فكها إلا ذلك الواسع العطن ، الرحب النفس ، الذى عرف الحياة فسخر منها قبل أن تسخر منه ، وأدرك كنهها فاطرحها قبل أن تطرحه ! إذا يكون الفكه فى الناس هو الفيلسوف العملى الذى طبق نظريات أخيه فيلسوف

الخيال ، فابتسم كما أراد أخوه ، وفرح ومرح على حين ظل الثاني مكتئبا  
ينشد الحقيقة فتعييه ، ويبغى النكاح فلا يلبغيه .

فسهل في حكمته فيلسوف الخيال ، وفي فكاهته فيلسوف الحقيقة .  
ذكر واعر دعبيل الخزاعي الشاعر أنه قال : أقننا يوما عند سهل بن  
هارون وأطلنا الحديث حتى أضرت به الجوع ، فدعا بغدائه ، فأتى بصفحة  
فيها مرق تحته ديك هرم ، فأخذ كسرة وتفقد ما في الصفحة فلم يجد رأس  
الديك ، فبقى مطرقا ثم قال للغلام : أين الرأس ؟ قال : رميت به ؛ قال : ولم ؟  
قال : لم أظنك تأكله ؛ قال : ولم ظننت ذلك ؟ فوالله إني لأمقت من يرمى  
برجله فكيف برأسه . ولو لم أكره ما صنعت الا للطيرة والقال لكرهته .  
أما علمت أن الرأس يتفاءل به ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ،  
ولولا صوته ما أريد ، وفيه قرقة <sup>(١)</sup> الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب  
بصفائها المثل فيقال : شراب كعين الديك . ودماغه عجب لوجع الحكية ،  
ولم أر عظما قط أهش تحت الأسنان منه . وإن كان بلغ من تباك أنك  
لا تأكله فعندنا من يأكله . أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن  
رأس البعق ! انظر أين رميته . فقال : والله ما أدري ؛ قال : أنا والله أدري .  
أنك رميت به والله في بطنك . فوالله حسبيك !

وروى الجاحظ قال : لقي رجلا سهل بن هارون فقال : هب لي ما لا ضرر  
به عليك ؛ فقال : وما هو يا أخي ؟ قال : درهم ؛ قال : لقد هوت الدرهم وهو  
طائع الله في أرضه لا يعصى . وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ،  
والمائة عشر الألف ، والألف دية المسلم . ألا ترى إلى أين انتهى الدرهم  
الذي هوتته ؟ ! وهل يوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ ! فانصرف الرجل .  
قال الراوي : ولولا انصراف السائل ما سكنت سهل .

(١) يقال : ديك أفرق : بين الفرق عرفه مفروق .

ومن فكاهاته أيضا ما حكى الجاحظ : أن أبا الهذيل العلاف المتكلم سأله رقعة يكتب بها إلى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته . فكتب رقعة وختمها ودفعها إليه ، فأوصلها إلى الحسن ، فلما رآها ضحك وأوقف عليها أبا الهذيل ؛ وإذا فيها مكتوب :

إن الضمير ، إذا سألتك حاجة لأبي الهذيل ، خلاف ما أبدى  
فامنحه روح اليأس ثم امدد له حبل الرجاء الخلف الوعد  
حتى إذا طالت شقاوة جده وعنائه فاجتبهه بالرد  
وإذا استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد  
ثم قال الحسن : هذه صفته لا صفتنا . وأمر لأبي الهذيل بمال ، فعاد  
إليه فعاتبه فقال سهل : ترى أين عزب عنك الفهم ! أما سمعت قولي :  
« إن الضمير خلاف ما أبدى » فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا .

\*\*\*

قدمنا أن لسهل بديهة كشفت عن ذكائه وأبانت عن عبقريته ،  
وللبديهة وحضور الجواب شأن ليس بالهين ، ومقام دحض زلق لا يسلم  
فيه إلا كل من عصمته قريحته النافذة .

قال ابن عبد ربه في مقدمة كتاب الأجوبة من كتابه العقد الفريد :  
« هي أصعب الكلام كله مركبا ، وأعزه مطالبا ، وأغمضه مذهبا ،  
وأضيقه مسلكا ؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة ، واستعمال القريحة .  
يروم في بديته ما أبرم القائل في رويته . فهو كمن أخذت عليه الفجاء ،  
وسدت عليه المخارج ، قد اعترض الأستنة ، واستهدف للدرامي . لا يدرى  
ما يُقرع به فيتأهب له ، وما يفجؤه من خصمه فيقرعه بمثله ؛ ولا سيما إذا  
كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه بعد أن روى فيه واحتفل ،  
وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأي يغيب حتى يختمر . فقد كرهوا الرأي

الفطير<sup>(١)</sup>، كما كرهوا الجواب الدبري<sup>(٢)</sup> : فلا يزال في نسج الكلام واستئناسه، حتى إذا اظہان شاردہ، وسكن نافرہ، صك به خصمه جملة واحدة ثم إذا قيل له: أجيب ولا تخطيء، وأسرع ولا تبطل. تراه بجواب من غير أناة ولا استعداد، يطبق المفاصل، وينفذ المقاتل؛ كما يرمى الجندل بالجندل، ويقرع الحديد بالحديد. فيحل به عراه. وينقض مرآثره<sup>(٣)</sup>، ويكون جوابه على أكثر كلامه كسحابة لبّت عجاجة. فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر، ولا أعز من الخصم الألد الذي يقرع صاحبه ويصرع منازعه. ويكون كمثل النار في الخطب الجزل.

ومن أمثلة هذه البديهة في سهل ما ذكروا من أنه دخل على الرشيد وهو يضحك المأمون فقال : اللهم زده في الخيرات، وابسط له من البركات، حتى يكون في كل يوم من أيامه مرياً على أمسه، مقصر عن غده، فقال الرشيد : يا سهل، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه، ومن الحديث أفصحه وأوضحه، إذا رام أن يقول لا يعجزه القول؟ فقال سهل : يا أمير المؤمنين، ما ظننت أن أحدا تقدمني إلى هذا المعنى؛ قال: بل الأعشى الهممذاني حيث يقول :

رأيتك أمس خير بني لؤي وأنت اليوم خير منك أمس

وأنت غدا تزيد الخير ضعفاً كذاك تزيد سادة عبد شمس

وذكروا أن المأمون كان استقل سهل بن هارون وقد دخل عليه يوماً والناس على مراتبهم، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب؛ فلما فرغ من كلامه أقبل سهل على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون،

(١) الفطير: كل ما أمجل من إدراكه. (٢) الدبري: الرأي يسنح عند فوات الحاجة. ولعله نسبة إلى الدبرة (بالتحريك) وهو اسم من الإديبار بمعنى الهزيمة في القتال. (٣) المرائر: جمع مريرة وهي الحيل المقتول.

وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتعجبون ولا تنصفون ، والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل . عربكم كعجمكم ، وعجمكم كعبيدكم <sup>(١)</sup> . ولكن كيف يعرف بالدواء من لا يشعر بالداء ! فرجع المأمون فيه إلى الرأي الأول . وذكروا من محاسن تعريضاته أنه خاطب بعض الأمراء فقال له الأمير : كذبت ؛ فقال : أيها الأمير ، إن وجه الكذاب لا يقابلك . يعني بذلك أن الأمير هو الكذاب ؛ لأن وجه الإنسان لا يقابله أبدا .

### رسالته في البخل

لا نجد من آثار سهل إلا ما قدمنا لك من كلمات أثرت عنه ، وذكرت في مقام التدليل على فضله ، والاستشهاد على بلاغته . فأما الكلام المجتمع ، وأما القول المسهب ، وأما المشكلة من مشا كل الحياة يعالجها ، والسر من أسرارها يكشف عنه ، فذلك ما لا مطمع فيه إلا في رسالته في البخل التي أوردها الجاحظ في كتابه « البخلاء » . ولو فات الجاحظ هذا التسجيل لفاتنا أعظم أثر لسهل .

تلك هي الرسالة التي وجهها سهل إلى لائمه في خطته التي سماها حزمًا واحتياطًا وذرعا لمفاجأة الأيام ، وتحصنًا من عوادي الخطوب ، وسماها هؤلاء اللأثمون بخلا وشحًا وكزازة ، فأطلقوا ألسنتهم بعيه وراحوا يشيعون في الناس صور تشدده في الحرص على المال وأساليبه في حياته المنزلية .

(١) يريد أن العرب كالعجم في عدم الإفصاح عن فضائل أمير المؤمنين . وأن العجم كالعبيد في الغباوة وعدم القدرة على معرفة فضل المأمون . وفي قوله : « ولكن كيف يعرف بالدواء ... » ، اعتذار عنهم جميعا لأنهم لم يدركوا زمن بني أمية ويعرفوا ما كان فيه من عيوب حتى يشعروا بقيمة حكم العباسيين .

فكانت الرسالة ردا على هؤلاء العائنين ، احتج فيها سهل للتقير  
وانتصر للإمساك وجعله العقل والحزم ، وجعل ماغدها التفريط والغفلة .  
ولم يكن في رسالته صاحب عقل فحسب يبرهن على صواب خطته بمنطق  
الفيلسوف أو السفسطائي الخطابي ، ولكنه كان إلى جانب ذلك ذا رواية  
ينقل عن عقلاء الناس وقادة الأمم ، بل خلفاء المسلمين وأئمة الصحابة  
والتابعين ، مثل ما أخذه عليه الناس وعابوه به . فكانت حجة سلاحا  
ذا حدين ، ولسانا ذا بيانين .

ولعمري ما تنفع الحجة إذا كانت كلها منطقا صرفا ولو حشدت  
فيها جميع أقيسته ، لأن في الناس من يعييك أن تلزمه تلك الحجة ما دام  
الحكم فيها للعقل الصائب وحده ، وما دامت لا سند لها من الواقع يؤيدها  
ويقوى جانبها حتى يعيا أمامها المكابر الذي يرد عليك قياسك الصحيح  
بقيامه الفاسد ، وقولك الحق بقوله الباطل .

فأما البرهان المحسوس ، والشاهد من التاريخ ، والسند من فعل عظماء  
الرجال ، فذلك ما لا مجال فيه للكبارة ، إلا إذا نقض المكابر ما أجمع عليه  
الناس من صدق الحديث عن هؤلاء العظماء ، وما استقر عليه الرأي من  
أنهم لم يصدروا في أعمالهم إلا عن حكمة وسداد . هذا هو أسلوب سهل  
في رسالته يضرب لك المثل بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصيحة  
عمر بن الخطاب ، ووصية علي وغيرهم من كل من عرف بصواب الرأي  
وحكمة التدبير ، كعمرو بن العاص ومعاوية وزياد والأخنف .  
ولقد كان ظهور هذه الرسالة في العربية حدثا لا عهد للناس بمثله ،  
ومفاجأة لها أكبر نصيب من الدهشة .

ذكروا أن سهلا لما صنف رسالته هذه قدمها إلى الحسن بن سهل  
واستماحه ، فكتب إليه الحسن :

قد مدحت مآذمه الله ، وحسنت ما قبّحه الله ، وما يقوم بفساد معنك صلاح لفظك ؛ قد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما تعطيك شيئاً .  
وقال الجاحظ : ما علمت أحداً جرد في البخل كتاباً إلا سهل بن هارون وأبا عبد الرحمن الثوري

\*\*\*

### نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم  
أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم وعلّمكم الخير ، وجعلكم من أهله .  
قال الأخف بن قيس : يا معشر تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عيّاها فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من قعيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى مرشداً وأن تُغرّى بمشفق . وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم وإصلاح فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم . وما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ولأنفسنا البلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاركم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » فما كان أحقنا منكم في حرمتنا بكم أن تراعوا حق قصدنا بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم <sup>(١)</sup> . فلا العذر المبسوط بلغتم ، ولا بواجب الحرمة قتم .

(١) يريد بهذه الجملة : « فما كان أحقنا ... » إنا قصدنا إليكم بالنصيحة وراعينا حقكم علينا في ذلك فكان يجدر بكم ونحن ذوو كرامة فيكم أن تقابلوا ذلك منا بالشكر والعمل بما نصحناكم به . وفي ترتيب الجملة ومعاني حروفها عواصة لا تحل إلا إذا راعت أن الباء في بكم للظرفية وأن على في « على ما رعيناه » بمعنى مع

ولو كان ذكر العيرب يراد به نحر لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلا .  
عبتمونى بقولى لخادمى : أجدى العجين فهو أطيب لطعمه وأزيد  
فى ريعه <sup>(١)</sup> وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : املكوا <sup>(٢)</sup> فإنه  
أحد الرّيعين .

وعبتمونى حين ختمت على ما فيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقية ، ومن  
رطبة غريبة ، على عبد نهم ، وصبي جشع ، وأمة لكعاء <sup>(٣)</sup> ، وزوجة مضیعة .  
وعبتمونى بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مزود <sup>(٤)</sup> سويق وعلى  
كيس فارغ ، وقال : طينة خير من طينة . فأمسكتم عن ختم على لاشئ .  
وعبتم من ختم على شيء .

وعبتمونى أن قلت للغلام : إذا زدت فى المرق فزد فى الإفضاح  
ليجتمع مع التادم باللحم طيب المرق .

وعبتمونى بخصف النعل ، وبتصدير <sup>(٥)</sup> القميص ؛ وحين زعمت أن  
المخسوفة من النعل أقوى وأشبه بالشد ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريط  
من التضييع . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع  
ثوبه ويقول : لو أهدى إلى ذراع لقبلت ، ولو دعيت لكراع <sup>(٦)</sup> لأجبت .  
وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس الخلق . وبعث زياد رجلا يرتاد له  
محدثا واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا فقال له : أكنت به  
ذامرفة ؟ قال : لا ، ولكن رأيت فى يوم قائط يلبس خلقا ويلبس الناس

(١) الربع : فضل كل شيء كريع العجين والدقيق والبر ونحوها  
(٢) ملك العجين وأملكه أنعم عجنه (٣) يريد باللكعاء الجماء وهى أنثى الكم  
كما أن لكعة أنثى لكع كصرد والمعنى واحد (٤) المزود كمنبر : وعاء الزاد  
(٥) تصدير القميص : جعل رقعة فى صدره (٦) الكراع من البقر والغنم :  
مستدق الساق ، ويؤنث .

جديداً ، ففترست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شئ قدراً ، وسما به موضعاً ، كما جعل لكل زمان رجالاً ، ولكل مقام مقالاً . وقد أحيا الله بالسهم ، وأمات بالدواء ، وأغص بالماء . وقد زعموا أن الإصلاحيين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن أنس بفرك النعل ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة . ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية<sup>(١)</sup> . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدي إليك دجاجة فقال : إن كان لابد فاجعلها بيوضاً .

وعبتموني حين قالت : من لم يعرف مواضع السرف في الوجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي . ولقد أتيت بماء للوضوء على قدر الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وضیعة<sup>(٢)</sup> الماء ، وجدت في الأعضاء فضلاً عن الماء ، فعلت أن لو كنت سلكت الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكن نصيب الأول كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك وشننتم عليّ . وقد قال الحسن وذكر السرف : أما إنه ليكون في الماعونين الماء والكلاء . فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلاء<sup>(٣)</sup> . وعبتموني أن قلت : لا يغترن أحدكم بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ودقة عظمه ، ووهن قوته ، أن يرى أكبر منه ، فيدعوه ذلك إلى إخراج

(١) الأضحية : (بضم الهمزة وتخفيف الباء) الشاة تذبح . ويجوز كسر الهمزة . ومثلها الضحية كغنية والجمع ضحايا والأضحية والجمع أضحي (٢) الوضيعة : ما تنقص من الشئ . (٣) يقال ردفه (كنع ونصر) بمعنى تبعه كأردفه . فالفعل في كلام سهل المعدي لاثنين هو ردف المعدي لواحد ، وبهمزة التعدية صار معدي لاثنين .

ماله من يده، وتحويله إلى ملك غيره، وإلى تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه. فاعله يكون معمر أو هو لا يدري، وممد وداله في السن وهو لا يشعر، ولعله يرزق الولد على اليأس، ويحدث عليه من آفات الدهر ما لا يخطر على بال ولا يدركه عقل. فيسترده ممن لا يرده، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أصعب ما كان عليه الطلب، وأقبح ما كان به أن يطلب<sup>(١)</sup> فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص: اعمل لدينك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.

وعبتموني بأن قلت: إن السرف والتبذير إلى مال المواريث وأموال الملوك، وإن الحفظ للبال المكتسب، والغنى المجتلب، إلى من يتعرض فيه لذهاب الدين، واهتضام العرض، ونصب اليد، واهتمام القلب أسرع<sup>(٢)</sup>. ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أوزن بالفقر، وطالب نفسا بالذل. وعبتموني أن قلت: إن الكسب الحلال يضمن الاتفاق في الحلال، وإن الخيثة ينزع إلى الخيثة، وإن الطيب يدعو إلى الطيب، وإن الاتفاق في الهوى حجاب دون الهدى. فعبتم على هذا القول، وقد قال معاوية: لم أر تبذيرا إلا وإلى جانبه حق مضيع. وقد قال الحسن: إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيما ذا ينفقه، فإن الخيثة إنما ينفق في السرف. وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر مني إليكم، وأنتم في دار الآفات، والحوائج غير مأمونات. فإن أحاطت

(١) أصعب: حال من فاعل يظهر الشكوى، وأقبح: مطوف عليه. والمعنى: أنه يفعل ذلك في حال كون الطلب والاستجداء أصعب شيء على نفسه. وأقبح شيء به بعد العزة التي كان فيها. (٢) في هذه العبارة في الأصل اضطراب أزلناه بيسير من التغيير. فقد كان الأصل: «والمال المجتلب وإلى من لا يعرض فيه بذهاب الدين...» والجملته بهذا النص غير مفهومة.

بمال أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه . فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة ،  
فإن البلية لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع .<sup>(١)</sup>  
وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في العبد والأمة والشاة  
والبعير : فرقوا بين المنايا .

وقد قال ابن سيرين لبعض البحرين : كيف تصنعون بأموالكم ؟  
فقالوا : نفرقها في السفن فإن عطب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة  
أكثر ما حملنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهي صناع .  
وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى لسكر ، وللمال  
لنزوة ، فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال  
لخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلا من  
غنى أمن الفقر ، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر وقد قال الشاعر في يحيى  
ابن خالد بن برمك

وهو بـُتلادِ المالِ فيما يشوبه      منوع إذا ما منعه كان أحزما

وعبتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يفاد العلم ، وبه  
تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالفضل  
من الفرع . فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل  
أم العلماء ؟ فقال : العلماء ؛ فقيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء  
أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل  
المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم ؛ فقلت : حالهما هي القاضية بينهما ، وكيف  
يستوى شيء حاجة العامة إليه ، وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض ؟

(١) يريد أن المصيبة أو الآفة إذا أصابت شيئا مجتمعاً أتت عليه جميعاً . فكلمة  
« الجميع » الأولى في تعبيره بمعنى المجتمع ، والثانية بمعنى الكل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال ابو بكر رضى الله عنه : إني لا أبغض أهل بيت يتفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض .

وعبتمونى حين قلت : فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون فى البيت إذا احتيج إليها استعملت ، إذا استغنى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحصين بن المنذر : وددت أن لى مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء ؛ قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمنى عليه ، لأن المال مخدوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه إلا أنه عز فى قلبك ، وذلل فى قلب عدوك ، لكان الحظ فيه جسيماً ، والنفع فيه عظيماً .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو . ولستم على تردد ولا رأى تفقدون . فقدموا النظر قبل العزم ، وأدركوا مالكم قبل أن تدرِكوا مالكم . والسلام عليكم <sup>(١)</sup> .

(١) قصدنا بإيراد هذه الرسالة كلها إلى ثلاثة مقاصد : أولها أن نكثر مصدرها بجعل صحيفة دارالعلوم الخالدة أحدهذه المصادر ، وثانيها أن تتناول بالاصلاح ما عثت به أيدى النساخ من عبارات هذه الرسالة ، وثالثها أن ينسر لقراء الصحيفة الكرام مطالعتها من غير رجوع إلى الكتب التى قد يصعب توافرها عند كل راغب فى الاطلاع على الرسالة .